آليات التفسير عند الفخر الرازي والعلامة الطباطبائي

الأستاذ الدكتور
حاكم حبيب الكريطي
المدرس المساعد
رشا سعود عبد العالي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

يُشكل التفسير التحليلي عملية تفكيك للبنات النص ،للوصول إلى مكامنه ،وأسراره إذ لا تظهر تلك المكامن والأسرار إلا بتفكيك ما تم بناؤه ورصّه بقالب نصي ، له أبعاده الدلالية المفضية لغايات معينة ، يريد ذلك النص إبرازها ، فهو قائم على أركان ثلاثة تشكل أساس كيانه ، وهي التحليل اللغوي (المفردة القرآنية) والتحليل المعنوي (الفروق التركيبية) والتحليل الدلالي (الحقيقة والمجاز)١ ،وهذا التفسير يستمد وجوده من مباحث البلاغة العربية ، فالبلاغة العربية تشكل القسم الأكبر مما يحتاجه المفسر في عملية التفسير والاستنباط ، الموصلة لكُنْه المقاصد القرآنية المعجزة ، والتفسير التحليلي قائم على أنماط تشكل أساسه التكويني ،والتحليل اللغوي واحد منها ، لذا سنتاوله بتسليط الضوء عليه.

***التحليل اللغوي (المفردة القرآنية)**

اللغة هي الحجر الأساس لكل أنواع الفنون القولية ، فمنها يتم الانطلاق ،والتفرع إلى عوالم القول المختلفة ، وهي الأصل والمادة الخام التي يرجع إليها المفسر لفهم ما أبهم عليه من معنى ، فالمفردة المعجمية هي ملك مشاع لمن أراد أن يتجاوز بها إلى معانٍ تبتعد بشكل، أو بآخر عن الأصل الذي أُجتلبت منه .

وشكّل التحليل اللغوي الجزء المهم ،والداعم للمفسر ، فمن خلاله استطاع أن يقف على كُنه الآيات القرآنية ، وبيان مقاصدها ،فهو من الثوابت التي على المفسر الرجوع إليها ،والاعتماد عليها ، وكان الفخر الرازي والعلامة الطباطبائي من المفسرين الذين ركزّوا على التحليل اللغوي ، واعتمداه في تفسيرهما لآي الذكر الحكيم .

فعندما أراد الفخر الرازي أن يبيّن شمول لفظة (دابة) لكل الحيوانات في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾٢ استعان بالتحليل اللغوي للوصول إلى المعنى الذي أفضت إليه هذه الآية ، وذلك بقوله : ((قال الزجاج : الدابة اسم لكل حيوان ، لأن الدابة اسم مأخوذ من الدبيب ، وبنيت هذه اللفظة على هاء التأنيث ، وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى ، إلا أنه بحسب عرف العرب اختص بالفرس ، والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية الموضوع الأصلي اللغوي فيدخل فيه جميع الحيوانات ، وهذا متفق عليه بين المفسرين)) ٣. فالقرآن الكريم استعمل لفظة (الدابة) بمعناها الأصلي ،أو المعجمي ،في هذه الآية الكريمة .٤

وإلى ذلك أشار العلامة الطباطبائي فقد ذكر أن ((الدابة على ما في كتب اللغة كل ما يدب و يتحرك، و يكثر استعماله في النوع الخاص منه، و قرينة المقام تقتضي كون المراد منه العموم لظهور أن الكلام مسوق لبيان سعة علمه تعالى، ولذلك عقب به قوله: "ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور")) ٥ ، وقد ذكر بعض المفسرين أن لفظة (دابة) في هذه الآية ، هي لفظة عامة ، أي غير مختصة بجنس أو نوع محدد ، ومتى اتصفت اللفظة بالعموم في الموضع الذي وردت فيه ، كان المقصود منها معناها الأصلي أو المعجمي ٦.

***تفسير القرآن بالقرآن**

القرآن الكريم نص معجز بكل حيثياته ، لا تغادره صغيرة ولا كبيرة ، وإن أُشكل شيء على البشر رجعوا إلى آياته التامات لبيان ما غاب عن عقولهم ، فتفسير القرآن بالقرآن من أنجع الطرائق للوقوف على كُنه ما خفي واستتر ، فهو بمثابة كشف داخلي يوضح ما أُختلف فيه أو ما أُشكل ، ففيه يُقطع الشك باليقين ،ويُقترب من الصدق والصواب، فهو بمثابة تكاشف دلالي لا يعتريه الشك ، وهو ركيزة من ركائز التفسير التحليلي ، ٧ التي يعتمدها المفسر في آلياته التفسيرية .

وإن الفخر الرازي والعلامة الطباطبائي قد اعتمدا هذه الركيزة – تفسير القرآن بالقرآن- في تفسيريهما ،ويرى الفخر الرازي أن تفسير كلام الله بكلام الله هو اقرب

السبل للصدق والصواب .٨ ففي قوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ ٩، بيّن الفخر الرازي أن (المغضوب عليهم) لفظ خاص باليهود دون غيرهم ،١٠

واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيهِ ﴾١١ .١٢ فاعتمد أسلوب الكشف الداخلي (القرآن بالقرآن) للوصول إلى الأصح والأصوب في فهم معاني آي الذكر الحكيم.

وقد وافق العلامة الطباطبائي الفخر الرازي فيما ذهب إليه ، فقال : ((القوم المغضوب عليهم هم اليهود، قال تعالى: "من لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت"))١٣ .

فالعلامة الطباطبائي يرى أن آيات القران الكريم هي الكاشفة، والمبينة ، والموضحة لكل ما فيه . فكيف لا ؟ وفيه أسرار الملكوت ،وفيه جواب لكل سؤال ، فهو يجيب عن كل تساؤل ، ويعجز أن يوضح مقاصد آياته التامات . إن هذا لبعيد كل البعد عن كتاب الله عز وجل . ١٤

ومن عادة الفخر الرازي عند تناوله لآية من آيات الكتاب الكريم بالتفسير، أنْ يعمد إلى سوق الوجوه الخاصة بها ، ثم يرفد تلك الوجوه بدلائل قرآنية توضح صحتها ،أي يجنح إلى (تفسير القرآن بالقرآن) . كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهدِيهِم رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِم تَجرِي مِن تَحتِهِمُ ٱلأَنهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ ﴾١٥ ، فمن ضمن الوجوه التي عرضها في تفسير هذه الآية قوله: ((أنه تعالى يهديهم إلى الجنة ثواباً لهم على إيمانهم ،وأعمالهم الصالحة ، والذي يدل على صحة هذا التأويل ... قوله تعالى : ﴿ يَومَ تَرَى ٱلمُؤمِنِينَ وَٱلمُؤمِنَٰتِ يَسعَىٰ نُورُهُم بَينَ أَيدِيهِم وَبِأَيمَٰنِهِم ﴾١٦...)) ١٧ .

وكذلك العلامة الطباطبائي له الطريقة نفسها ، فهو يرتكز على الكشف الداخلي للوصول إلى مقاصد الآيات القرآنية . ففي معرض حديثه عن الآية المذكورة آنفا ، ذكر موضحا معنى الآية بقوله : ((ذكر سبحانه أنه يهديهم بإيمانهم، وإنما يهديهم إلى ربهم لأن الكلام في عاقبة أمر من يرجو لقاء الله، و قد قال تعالى: "و يهدي إليه من

أناب:"١٨)) ١٩ فاستطاع العلامة الطباطبائي الوصول إلى المعنى من خلال الاستدلال بآية من آيات القرآن الكريم .

فقد قال العلامة الطباطبائي علينا ((أن نفسر القرآن بالقرآن ،و نستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ،ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾))٢٠. وكيف لايقول ذلك ،وأساس تفسيره (الميزان) قائم على مبدأ تفسير القرآن بالقرآن ، فما صعب تفسيره من آيات القرآن الكريم تُرد إلى أختها لتوضيح ماابهم منها .

***علـوم القرآن**

- أسباب النـزول

يهتم المفسرون بأسباب النزول لما لها من أثر فاعل في الوصول إلى مقاصد الآيات والسور القرآنية . لأنها تسلط الضوء على الجو العام لتلك الآيات، وبالتالي فهمها الفهم الصحيح ، ومعرفة مقاصدها ٢١. والفخر الرازي والعلامة الطباطبائي من المفسرين الذين عنت لهم أسباب النزول وسيلة من وسائل التفسير المهمة ، لذا كانت هذه الوسيلة المقدمة عندهما عند شروعهما في التفسير .

فلا يتوانى الفخر الرازي عن الاعتماد على جملة من أسباب النزول في آية واحدة ، ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾٢٢ ، ساق الفخر الرازي جملة من أسباب النزول ، واعتمدها جميعا في هذه الآية فعدد الأوجه قائلا : ((اختلفت الروايات في سبب النزول ، فمنهم من خصها باليهود الذين شرح الله أحوالهم في الآيات المتقدمة ، ومنهم من خصها بغيرهم .أما الأول ففيه وجهان الأول : قال عكرمة إنها نزلت في أحبار اليهود ، كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة من أمر محمد ﷺ،وكتبوا بأيديهم غيره، وحلفوا بأنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشا ، واحتج هؤلاء بقوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾٢٣ الثاني : أنها نزلت في ادعائهم أنه ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾٢٤ كتبوا بأيديهم كتاباً في ذلك وحلفوا

أنه من عند الله وهو قول الحسن . وأما الاحتمال الثاني : ففيه وجوه الأول : أنها نزلت في الأشعث بن قيس ، وخصم له في أرض ، اختصما إلى رسول الله ﷺ ، فقال للرجل : « أقم بيِّنَتَك » فقال الرجل : ليس لي بينة فقال للأشعث « فعليك اليمين » فهم الأشعث باليمين فأنزل الله تعالى هذه الآية فنكل الأشعث عن اليمين ورد الأرض إلى الخصم واعترف بالحق ، وهو قول ابن جريج، الثاني : قال مجاهد : نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعته الثالث : نزلت في عبدان وامرىء القيس اختصما إلى الرسول ﷺ في أرض ، فتوجه اليمين على امرىء القيس ، فقال : أنظرني إلى الغد ، ثم جاء من الغد وأقر له بالأرض)) ٢٥ ، وبعد أن ساق جميع الأوجه صرح قائلا ((والأقرب الحمل على الكل)) ٢٦.

في حين كان للعلامة الطباطبائي رأيا مختلفا بشأن أسباب النزول للآية المذكورة آنفا ،والتي أكد على صحتها جميعا الفخر الرازي ، فقد ردّ على الرواية الخاصة بـ امريء القيس ٢٧ التي اعتمدها الفخر الرازي سببا من أسباب النزول لهذه الآية بقوله : ((و الرواية كما ترى لا تدل على نزول الآية في مورد القصة)) ٢٨ ،ثم بعد ذلك شرع بذكر ما ورد عند أهل السنة من الروايات الخاصة بأسباب النزول لهذه الآية الكريمة فقال : ((و قد روي من طرق أهل السنة في عدة روايات أن الآية نزلت في هذا الشأن، و هي متعارضة من حيث مورد القصة: ففي بعضها أن النزاع كان بين امرىء القيس ،ورجل من حضرموت كما مر في الرواية السابقة، وفي بعضها أنه كان بين الأشعث بن القيس ، وبين رجل من اليهود في أرض له، وفي بعضها أنها نزلت في رجل من الكفار ،وقد كان أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه ليوقع بها رجلا من المسلمين فنزلت الآية.)) ٢٩ ،وبعد أن انتهى من عرض ما تناقله أهل السنة من أسباب نزول هذه الآية، عمد إلى بيان رأيه فيها ، فذكر موضحا : ((و قد عرفت في البيان السابق أن ظاهر الآية أنها واقعة موقع التعليل لمضمون الآية السابقة عليها: فالوجه حمل الروايات إن أمكن على بيان انطباق الآية على مورد القصة دون النزول بالمعنى المعهود منه))٣٠. فهو يرى انه قبل اعتماد أي سبب ،أو رواية تخص أسباب النزول يجب أولا التثبت من إمكانية انطباق الآية على مورد القصة من دون النزول بما كان معهودا بالمعنى.

ومما تقدم يتبيّن لنا جليا الاختلاف بين المفسرين ،فالفخر الرازي لايتوانى عن اعتماد جملة من أسباب النزول نزلت في آية واحدة ، لكن العلامة الطباطبائي بعد أنْ ردّ الروايات التي ساقها أهل السنة في هذه الآية ، ساق لنا رأيه الخاص فيها ، فذكر أنها بمثابة التعليل لمضمون الآية التي قبلها ، ثم نوّه إلى ضرورة حمل الروايات التي تُساق على بيان انطباق الآية على مورد القصة منعاً لنسبة سبب نزول لآية معينة من دون التثبت من صحته .

- المحكم والمتشابه

هو آلية من آليات المفسر ، ووسيلة من وسائله الناجعة الموصلة إلى كُنه الآيات القرآنية ،وهو احد الأمور الأربعة التي اشترطها الفخر الرازي للإيمان بالكتاب ، فقال: ((والمرتبة الرابعة : أن يعلم أن القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ، وأن محكمه يكشف عن متشابهه)) ٣١. ويرى الدكتور محسن عبد الحميد أن ما أكده الفخر الرازي في هذه القاعدة يتسم بعدم الموضوعية ، لأنها قاعدة مطاطية ، تتبع مذهبه الكلامي فقط ، فما وجده متوافقا مع مذهبه حُرّم التصرف فيه بالتأويل، وما ابتعد عن مذهبه كان قابلا للتأويل ٣٢. فكأنما أصبح المذهب الوسيلة الفارقة بين المحكم والمتشابه ، فما وافق المذهب كان محكما في نظره ، وما لم يوافقه كان متشابها ، ويحق التصرف به .

لكنّنا نجد ما يخالف ماجاء به د. محسن عبد الحميد، بدليلين الأول أن الفخر الرازي صرح في أكثر من موضع من تفسيره على انه لمعرفة المتشابه يجب رده للمحكم ، وساق أمثلة على ذلك ٣٣، أما الثاني فنجد أن الفخر الرازي ذكر هذا الأمر على غيره من أصحاب المذاهب ،ممن تنصروا لمذهبهم على حساب المعنى الحقيقي للآيات القرآنية ، فـ ((كلّ يتحفظ على متن ما اتخذه من المذهب و الطريقة.)) ٣٤ . فقال: ((إن كل واحد من أصحاب المذاهب يدعي أن الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ، وأن الآيات الموافقة لقول خصمه متشابهة ، فالمعتزلي يقول قوله ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾٣٥ محكم ، وقوله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾٣٦ متشابه والسني يقلب الأمر في ذلك))٣٧ ، ثم بعد ذلك يحتم على ضرورة إيجاد قانون يكون هو الفصل الذي يرجع له في هذا الأمر ، فيجده موضحا بقوله : ((إن اللفظ إذا كان محتملاً لمعنيين ،وكان

بالنسبة إلى أحدهما راجحاً ، وبالنسبة إلى الآخر مرجوحاً ، فإن حملناه على الراجح ،ولم نحمله على المرجوح ، فهذا هو المحكم ،وأما إن حملناه على المرجوح ،ولم نحمله على الراجح ، فهذا هو المتشابه فنقول : صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل ، وذلك الدليل المنفصل إما أن يكون لفظياً وإما أن يكون عقلياً)) ٣٨.فالفخر الرازي يحاول أن يضع حدّا لنزاع المذاهب في قضية المحكم والمتشابه ،فيسن لنا قانونا نستطيع من خلاله التفريق بينهما ، فهو يرى أن في الكلام راجحا ومرجوحا ، والراجح يكون بمثابة المحكم ، والمرجوح يكون بمثابة المتشابه ، ومن خلال هذين اللفظين يوضح لنا كيف نتوصل إلى المحكم والمتشابه .

والفخر الرازي يشبه المحكم ،والمتشابه بالنهار والليل ، فالمحكم كالنهار ،والمتشابه كالليل ، وكما أن المقصود من التكليف لا يكتمل إلا بالمحكم والمتشابه، كذلك الزمان لا يكتمل إلا بالنهار والليل ٣٩، ولعله شبه المحكم بالنهار لوضوح مقاصده ،كضوء النهار ، والمتشابه بالليل لما يكتنف الليل من ظلمه تلف الأشياء الداخلة في حيزه .

فهو يرى أن النصوص المتشابهة في القرآن :هي نصوص وُجدت لتؤول في أصل وضعها ، أي انها ليست حقائق تؤخذ بمسلماتها ، أو تفهم على ظواهرها ،بل هي نصوص يكتنفها شيء من الغموض المقصود ،والذي بدوره يدخلها إلى عالم التأويل ، حيث مكانها الأساس الذي تدور بفلكه٤٠.

والمتشابه عند العلامة الطباطبائي هو : ((كون الآية بحيث لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها ،بل يتردد بين معنى ومعنى ، حتى يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين هي معناها ،و تبينها بيانا، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة ،بواسطة الآية المحكمة، والآية المحكمة محكمة بنفسها، كما أن قوله: "الرحمن على العرش استوى" ٤١ ، يشتبه المراد منه على السامع أول ما يسمعه، فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ٤٢ ، استقر الذهن على أن المراد به التسلط على الملك ،و الإحاطة على الخلق دون التمكن ،والاعتماد على المكان المستلزم للتجسم المستحيل على الله سبحانه)) ٤٣. ومن توجيه العلامة الطباطبائي للمحكم والمتشابه نجده يقترب كثيرا من

تكاشف القرآن بالقرآن ،وهو المبدأ الذي يستند إليه تفسيره(الميزان) فهو قائم على تفسير القرآن بالقرآن.

والعلامة الطباطبائي يرى أن كل آية في القرآن محكمة ،سواء كانت محكمة بغيرها من الآيات ،أو محكمة بنفسها ،وان اشتبه على احد غير ذلك ،فهذا راجع إلى قصور في عقله ،وفهمه و((إن الاتكاء والاعتماد على الأنس ، والعادة في فهم معاني الآيات يشوش المقاصد منها ،ويختل به أمر الفهم)) ٤٤، ممن جمدوا على ظواهر الآيات في التفسير ، لا بل جمدوا على العادة والأنس في تشخيص المصاديق ٤٥، فهو يجزم انه لا توجد آية من آيات القرآن الكريم إلا ((و لها مدلول وهي لا تنطق بمعناها ،وتضل في مرادها، بل ما من آية إلا وفيها دلالة على المدلول: إما مدلول واحد لا يرتاب فيه العارف بالكلام، أو مداليل يلتبس بعضها ببعض، و هذه المعاني الملتبسة لا تخلو عن حق المراد بالضرورة ،و إلا بطلت الدلالة كما عرفت، و هذا المعنى الواحد الذي هو حق المراد لا محالة لا يكون أجنبيا عن الأصول المسلمة في القرآن ،كوجود الصانع ،و توحيده ،و بعثة الأنبياء ،و تشريع الأحكام ،و المعاد ،و نحو ذلك، بل هو موافق لها ،وهي تستلزمه ،وتنتجه ،وتعين المراد الحق من بين المداليل المتعددة المحتملة، فالقرآن بعضه يبيّن بعضا، وبعضه أصل يرجع إليه البعض الآخر))٤٦ .فهو يصرّح بوجود آيات لها مدلول واحد ،وهي التي تكون اقرب إلى فهم السامع ،وبعضها الآخر يحمل في طياته مجموعة مداليل يشتبه فيها السامع ، لكثرة مداليلها ، لكنها لا تخلو من معنى أوحد له صله بأصول الدين ، كوجود الخالق ، والتوحيد وغيرها.يكون موافقا له.فالقرآن مبين بعضه لبعض ، ولعل الطباطبائي قصد بذلك أن كلام الله مبين ، وموضح بذاته ، لا يحتاج إلى عقل آدمي يفسره ،ويوضح مراميه ،ف ((حاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شيء و لا يكون تبيانا لنفسه)) ٤٧.

فهو يصرح على انه للوقوف على مقاصد المتشابه ، وتشخيص مصاديقه التي تجري عليها المفاهيم ،لابد من التدبر وإرجاع المتشابه إلى المحكم ، وعرض الآية على الآية ،لان القرآن صدى لما فيه ، يصدق بعضه بعضا، وينطق بعض ببعض ،ويشهد بعضه

على بعض .٤٨ و في كلامه ما يشعر بوجود صلة من قريب ،أو بعيد بالكشف الداخلي (القرآن بالقرآن).

فقد ذكر الزركشي أنّ الناس انقسموا بالآيات المتشابهة الواردة في الصفات إلى ثلاث فرق ((أحدها أنه لا مدخل للتأويل فيها بل تجري على ظاهرها ،ولا تؤول شيئا منها ،وهم المشبهة ،والثاني: أنّ لها تأويلا ،ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل ،ونقول لا يعلمه إلا الله ،وهو قول السلف، والثالث: أنها مؤوّلة ،وأولوها على ما يليق به ،والأول : باطل والأخيران: منقولان عن الصحابة))٤٩.

ففي قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾٥٠ نجد الفخر الرازي بعد أن نقل المعاني اللغوية للمتكلمين في اليد، قال : ((اليد في حق الله يمتنع أن تكون بمعنى الجارحة ، وأما سائر المعاني ، فكلها حاصلة))٥١ . فهو ابعد الجارحة تنزيها للذات الإلهية ، فيُلجأ إلى التأويل ابتعادا عن أي مماثلة قد تحصل مع البشر .٥٢

أما العلامة الطباطبائي فقال : ((و ربما ذكروا لليد معاني مختلفة في اللغة غير الجارحة،كالقدرة ،و القوة ،و النعمة ،و الملك ،و غير ذلك٥٣ ، لكن الحق أن اللفظة موضوعة في الأصل للجارحة، وإنما استعملت في غيرها من المعاني على نحو الاستعارة ، لكونها من الشؤون المنتسبة إلى الجارحة نوعا من الانتساب كانتساب الإنفاق ، و الجود إلى اليد من حيث بسطها،٥٤ وانتساب الملك إليها من حيث التصرف ،و الوضع ،و الرفع ،و غير ذلك)) ٥٥ ،فهو يرى أن اليد مختصة بالجارحة ،ولكنها استعملت بغير معناها الأصلي ، عن طريق الاستعارة ،وان ما يرد في القرآن الكريم يكون مختلفا تبعا لاختلاف وروده ، فقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ يراد به القدرة وكمالها .٥٦ أي حسب السياق الذي انتظمت به اللفظة ، فمن خلاله يكشف عن المعنى المقصود.

اتفق المفسران في قضية المحكم والمتشابه على ضرورة ردّ المتشابه إلى المحكم للوقوف على مقاصد تلكم الآيات المتشابه ، على الرغم مما صرح به د. محسن من نتيجة تفضي بأن الفخر الرازي يحكمه في هذه القضية مذهبه الأشعري ، فما وافق مذهبه حُرم

التصرف به ، وما لم يوافقه كان قابلا للتأويل ، وأيّاً كان السبب الذي دفع د. محسن بالقول بهذه النتيجة إلا أن البحث ردّ على ذلك بدليلين من صلب تفسير الفخر الرازي.

***الربط العلمي**

تشكل الظواهر الكونية وجها من وجوه قدرة الله ووجوده ، وقد ذُكرت كثيرا في القرآن الكريم ، لما تحمله في طياتها من عجائب الخلقة ، وبدائع الدقة، فالكل يسري بنظام مرسوم ، وترتيب عجيب ، وحكمة ما ، لا يصيبه الخلل ، ولا يعتريه الفتور ، لأنه موضوع من لدن خالق عظيم .لذا أصبحت الأمور العلمية مدار اهتمام العلماء ، والمفسرين ،وجعلوها طريقا موصلا إلى الإعجاز القرآني . فتشير ((الدلائل على أن العلماء الذين درسوا الآيات الكونية في القرآن فيما بعد ،وطبقوها على ما وصل إليه العلم في زمانهم في الفلك ،أو الطب ،أو الطبيعة ،أو الكيمياء ،أو الأحياء ،وغيرها من العلوم ، وجدوا تطابقا وتوافقا علميا رائعا ، أكد لهم أن القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لذلك كان علماء الفلك ، وعلماء الطب ، أكثر الناس إيمانا بعظمة الخالق المبدع ،واسبقهم إقرارا بإلوهيته ...))٥٧.

فقد اهتم الفخر الرازي جل الاهتمام بالأمور الكونية والعلمية ، وجعلها جزءا من استدلالاته القرآنية ، ووقف على أعتابها مطولا ؛ لأنها الدليل المنطقي والعلمي على وجودية الخالق سبحانه وتعالى .٥٨ فالفخر الرازي لا يدخر جهدا في بيان الإعجاز القرآني ، فهو باحث أصيل لكل المجالات التي من شأنها إظهار ذلك الإعجاز وتفرده، فهو لم يكتفِ بالبلاغة فقط ، بل تعداها إلى سبل أخرى ، والإعجاز العلمي إحداها٥٩.

وقد تبنى العلامة الطباطبائي التفسير العلمي للوصول إلى حقائق القرآن ،وتشخيص مقاصده العالية ،فذكر ان علينا ((أن نبحث بحثا علميا ،أو فلسفيا أو غير ذلك ،عن مسألة من المسائل التي تتعرض له الآية حتى نقف على الحق في المسألة، ثم نأتي بالآية و نحملها عليه ...)) ٦٠. وعلل سبب تمسك الناس بالبحث العلمي ، حتى لا يقتصروا على الفهم العادي لمعاني الآيات ،وليتجنبوا الوقوع بالخطأ ، والحصول على نتائج مجهولة٦١.

وقد أورد الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾٦٢ قولين٦٣ ، فكان الأول هو الراجح عنده ،لأنه قائم على أساس الاستنتاج ،والربط العلمي فمال إليه على حساب الثاني ٦٤ ، فقال: ((أن المراد بآيات الآفاق ،الآيات الفلكية والكوكبية ،وآيات الليل ،والنهار ،وآيات الأضواء ،والإضلال ،والظلمات ،وآيات عالم العناصر الأربعة، وآيات المواليد الثلاثة ، وقد أكثر الله منها في القرآن ، وقوله { وَفِي أَنفُسِهِمْ } المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة ، كما قال تعالى :﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾٦٥ يعني نريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى إلى أن تزول الشبهات عن قلوبهم ،ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الإله القادر الحكيم العليم المنزّه عن المثل والضد)) ٦٦ . إذ إنه ساق قولين بخصوص "آياتنا في الآفاق " ، وكان القول المفضي إلى الاستنتاج ،والربط العلمي هو المختار من لدنه ، لأنه يميل في مثل تلك الآيات إلى الأقوال التي تصب في هذا المنحى ، ويبعد من كان بعيدا عن الربط العلمي ، وذلك لما يشكله الربط العلمي في تبيان لمعاجز الله سبحانه وتعالى ، وغاية المفسرين على الإطلاق الوصول إلى إعجاز القرآن المتفرد ، فأخذ يطلق العنان لعقله لتفسير معاجز الله الكونية ، ففسر "آيات الآفاق "بالآيات الفلكية ، وآيات الليل والنهار والأضواء والظلمات ... وغيرها ، ثم رجح أن يكون المقصود بقوله : " وفي أنفسهم " الأجنة في الأرحام ، وجعل كل تلك الدلائل دليلا يزيل شبهات عدم الإيمان بالله الذي ليس مثله شيء ولاضد . ثم لم يكتفِ بترجيح هذا القول فقط ، بل وقف بوجه كل من رآه ضعيفا ، فقال مفندا : ((فإن قيل هذا الوجه ضعيف لأن قوله تعالى : { سَنُرِيهِمْ } يقتضي أنه تعالى ما أطلعهم على تلك الآيات إلى الآن ،وسيطلعهم عليها بعد ذلك ، والآيات الموجودة في العالم الأعلى والأسفل قد كان الله أطلعهم عليها قبل ذلك فثبت أنه تعذر حمل هذا اللفظ على هذا الوجه ، قلنا إن القوم ،وإن كانوا قد رأوا هذه الأشياء ،إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء مما لا نهاية لها ، فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زماناً فزماناً ، ومثاله كل أحد رأى بعينه بنية الإنسان وشاهدها ، إلا أن العجائب التي أبدعها

الله في تركيب هذا البدن كثيرة وأكثر الناس لا يعرفونها ، والذي وقف على شيء منها فكلما ازداد وقوفاً على تلك العجائب ،والغرائب فصح بهذا الطريق قوله ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾))٦٧ ، فجعل المقصود من هذه الآية هو أن الإنسان كلما اكتشف معجزا من معاجز الله بقى ذلك المعجز محتويا ، ومتفجرا لمعاجز دافقة لايقف على أسرارها واقف ، وكلما دقق النظر فيها أكثر تجلت وانكشفت له معاجز أخرى كامنة في ذلك المعجز الذي تم كشفه سابقا ، وضرب مثلا لذلك بدن الإنسان ،وما يحتضنه من أسرار ،وعجائب لازالت خافية على البشر ، وبهذا يصح قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾.

ومن هنا يتبيّن لنا حرص الفخر الرازي على طريقة الاستنتاج والربط العلمي ، لأنه يرى فيها الأداة الموصلة للإيمان المطلق بالله عز وجل ،ويتم ذلك عن طريق التدبر في عجائب الكون.

وقد ذكر العلامة الطباطبائي أن ((المراد بهذه الآيات التي سيريهم غير الآيات السماوية ،و الأرضية التي هي بمرآهم ،و مسمعهم دائما قطعا ،بل بعض آيات خارقة للعادة تخضع لها ،و تضطر للإيمان بها أنفسهم في حين لا يوقنون بشيء من آيات السماء ،و الأرض التي هي تجاه أعينهم و تحت مشاهدتهم)) ٦٨.إذ إنه هو الآخر فسرها تفسيرا قائما على أساس الاستنتاج والربط العلمي . فهو يرى أن المقصود بهذه الآية انه سبحانه وتعالى سيريهم آيات خارقة للعادة ستضطر أنفسهم للخضوع ،والإيمان بها في الوقت الذي هم لايفقهون شيئا من الآيات الأرضية ، والسماوية الماثلة أمام أعينهم.

وقد جعل قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾٦٩ إحدى الآيات الخارقة التي وعد بها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ وذلك لان فيها ((وصفا لأمر خارق للعادة دلالة على أن المراد بالإخراج من الأرض ، إما الإحياء ،و البعث بعد الموت ،و إما أمر يقرب منه، و أما كونها دابة تكلمهم ،فالدابة: ما يدب في الأرض من ذوات الحياة إنسانا كان أو حيوانا غيره ،فإن كان إنسانا كان تكليمه الناس على العادة

،و إن كان حيوانا أعجم كان تكليمه كخروجه من الأرض خرقا للعادة))٧٠ . وكان العلامة الطباطبائي يقصد بالآيات الخارقة للعادة إحياء الموتى ، أو تكلم الحيوان الأعجم ، بخلاف الفخر الرازي الذي قصرها على معاجز الخلق سواء الأرضية أو السماوية ،أو عجائب الخلقة والبدن .

مما تقدم يتبيّن لنا جليا اختلاف تحليل العلامة الطباطبائي عن الفخر الرازي ،لكنهما اختارا تفسيرا يفضي إلى الأمور الكونية ،والمعاجز الإلهية.

لقد كان الربط العلمي من الأدوات الفاعلة التي سخرها المفسران ، للوصول إلى كنه المعنى القرآني المعجز ، فلم يوفرا جهدا للاستعانة به ، لبيان مقاصد الآيات التامات من خلال قدرة الخالق الكونية .

***القصص والأمثال**

تعد القصص والأمثال أرضا خصبة صالحة للنماء ، والاستزراع ، في حقل الدلالة القرآنية ، فهي مما تم توظيفه لتبيان المقاصد ، وتكثيفها تكثيفا دلاليا ، من شأنه اغناء النص ، ورفده بمثيرات للتلقي والاستجابة .

ويُعير الفخر الرازي الإعجاز العقلي أهمية كبرى ، لا تختلف عن الإعجاز العلمي ، وقد جعل ذكر القصص في القرآن الكريم جزءا داعما لعلم التوحيد ، وعلم الأحكام ، فذكرها ((إما تقرير دلائل التوحيد ، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف ،))٧١ ويرى أن التنقل بين العلوم طريقة حسنة ، لإبعاد السام والملل عن الإنسان، فهو أشبه بالسفر من بلد لآخر ، أو التنقل من بستان إلى آخر ،أو استبدال طعام لذيذ بآخر ، والغاية إضفاء التنوع المفضي بإبعاد الملل . ٧٢

فمعنى القصص عند الفخر الرازي : هي ((الخبر المشتمل على المعاني المتعددة)) ٧٣. أمّا القاص عنده : فهو من يتبع الخبر بعد الخبر ، ومن يسوق الكلام سوقا . ٧٤

وينزه العلامة الطباطبائي القرآن عن كونه كتاب تاريخ أو قصة ، و حَمَلَ على كل من يحاول المساس بمصداقية القرآن الكريم ، من قريب أو بعيد ، بقصد أو بدون قصد ، ليبرر أمورا قصر عقله عن تدبرها ، فقد خطّأ من زعم ان القرآن يهمل بعض جوهريات القصص ، لأنه أحيانا يسرد قصة تخيلية لا صحة لها كما هو الحال في قصة موسى وفتاه ، فقد ينطبق هذا الأمر على الفن القصصي ، لكن ليس على كلام الله ، وهو القول

الحق ((فليس القرآن كتاب تاريخ ،و لا صحيفة من صحف القصص التخييلية ،و إنما هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ،و لا من خلفه ،و قد نص على أنه كلام الله سبحانه، و أنه لا يقول إلا الحق، و أن ليس بعد الحق إلا الضلال، و أنه لا يستعين للحق بباطل، و لا يستمد للهدى بضلال، و أنه كتاب يهدي إلى الحق ،و إلى صراط مستقيم، و أن ما فيه حجة لمن أخذ به ،و على من تركه في آيات جمة لا حاجة إلى إيرادها ،فكيف يسع لباحث يبحث عن مقاصد القرآن أن يجوز اشتماله على رأي باطل ،أو قصة كاذبة باطلة ،أو خرافة ،أو تخييل)) ٧٥. فهو يرى أنّ القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية ، وليس كتاب تاريخ ، ولا قصة ٧٦، وإن وردت القصة فيه ، فهي لتثبيت أمر من التوحيد و الأحكام ، فهي وسيلة من وسائل إيصال المعنى المراد التي اعتمدها القرآن الكريم .

وقد ذكر الفخر الرازي في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾٧٧ أنّ هناك قصصا ذُكرت في القرآن الكريم ، لأجل التسلية ،وتخفيف بعض الأحوال عن القلب ، فكان الرابط المشترك بين هذه القصص ، و جوهرها الأساس، هو محسود كلّ من خصه الله بالنعم العظيمة في الدنيا والآخرة. وقد شرع بتعداد تلك القصص مبتدأ بمن ذُكر أولاً في القرآن الكريم ،فقال موضحا : ((فذكر أولاً قصة النقباء الإثنى عشر ،وأخذ الله تعالى الميثاق منهم ، ثم إن اليهود نقضوا ذلك الميثاق حتى وقعوا في اللعن والقساوة ، وذكر بعده شدة إصرار النصارى على كفرهم وقولهم بالتثليث بعد ظهور الدلائل القاطعة على فساد ما هم عليه ، وما ذاك إلا لحسدهم لمحمد ﷺ فيما آتاه الله من الدين الحق ، ثم ذكر بعده قصة موسى في محاربة الجبارين ،وإصرار قومه على التمرد والعصيان ، ثم ذكر بعده قصة ابني آدم وأن أحدهما قتل الآخر حسداً منه على أن الله تعالى قبل قربانه ...)) ٧٨ ، فكل تلك القصص تصب في معين واحد ، وهو أن مَن نالَ نِعم ربه في الدنيا والآخرة ، نال قبيلها حسد وبغض من حُرم منها ، فكانت نعم الله السابغة على نبينا محمد (ﷺ) من النعم العظام ، والتي دفعت أعدائه ليمكروا ،ويكيدوا ضده ، فكانت تلك القصص تطيبا

لخاطر الرسول (ﷺ) وتسلية له ، من قبل الله سبحانه وتعالى . ٧٩ فقصص القرآن الكريم ، تجتمع بعضا منها في جوهرها الأساس ، مع الحفاظ على خصوصية كل واحدة منها، حسب موردها في القرآن الكريم.

ويكون ذكر القصة في القرآن الكريم مطرد ، فتُذكر إن استدعت الحاجة لذكرها، كأن يكون لعبرة، أو حكمة ، أو موعظة، أو سنة إلهية في الأيام الخالية والأمم.٨٠

وقد اتفق العلامة الطباطبائي مع الفخر الرازي ، على أنّ هناك رابطا بين قصة- ابني آدم – وبني إسرائيل،٨١ فقال : ((الآيات تنبىء عن قصة ابني آدم، و تبيّن أن الحسد ربما يبلغ بابن آدم إلى حيث يقتل أخاه ظالما فيصبح من الخاسرين ،ويندم ندامة لا يستتبع نفعا، وهي بهذا المعنى ترتبط بما قبلها من الكلام على بني إسرائيل ،واستنكافهم عن الإيمان برسول الله (ﷺ) ،فإن إباءهم عن قبول الدعوة الحقة لم يكن إلا حسدا وبغيا، وهذا شأن الحسد يبعث الإنسان إلى قتل أخيه ،ثم يوقعه في ندامة، وحسرة لا مخلص عنها أبدا، فليعتبروا بالقصة ،ولا يلحوا في حسدهم ،ثم في كفرهم ذاك الإلحاح))٨٢، فالإطار العام لقصة ابني ادم ، وبني إسرائيل واحدا ، وهو الحسد على مَن فضله الله بنعمه العظيمة ، إلا أن الشخوص ، والأحداث ، والزمان ، والمكان، مختلف تماما ، لكن العبرة والعظة واحدة .إذ إن القصة كانت إحدى الأدوات التحليلية ،والتفسيرية التي أوصلت المفسرين إلى كُنه المقاصد القرآنية ،وبالتالي إعجازه المتفرد.

- الأمثـــــال

جاء في اللسان : ((والمِثْل الشِّبْه يقال مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه بمعنى واحد...والمَثَلُ والمَثِيلُ كالمِثْل والجمع أَمْثالٌ وهما يَتَماثَلان ...وقد يكون المَثَلُ بمعنى العِبْرة ومنه قوله عز وجل "فجعلناهم سَلَفاً ومَثَلاً للآخرين" فمعنى السَّلَف أَنا جعلناهم متقدِّمين يَتَّعِظُ بهم الغابِرُون ،ومعنى قوله ومَثلاً أَي عِبْرة يعتبِر بها المتأَخرون ،ويكون المَثَلُ بمعنى الآية قال الله عز وجل في صفة عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام "وجعلناه مَثَلاً لبني إِسرائيل" أَي: آيةً تدلُّ على نُبُوّته))٨٣. أي ان المثل في اللغة احتمل معنى الشبه ، والصفة ، والعبرة، والآية . لذا كان المَثل مختلطا بهذه المصطلحات عند أصحاب المعاجم٨٤.

ولقد تذبذب المصطلح بين التشبيه عند أوائل العلماء كأبي عبيدة ، والفراء ،والتمثيل ،والاستعارة التمثيلية لمن جاء من بعدهم ،وليس منهم من ذهب إلى غير الشبه إشارة إلى الأصل الذي اخذ منه ٨٥.

يشغل المثل مساحة واسعة من القران الكريم ، تؤهله ليكون إحدى آليات التفسير المهمة ، التي يتم من خلالها الكشف عن مقاصد آي الذكر الحكيم ،فالمثل يحمل في طياته صفات تميزه ، وتجعله كثير الورود في القرآن الكريم ، ((كإيجازُ اللفظ ،وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه))٨٦.

فالأمثال كما يصرح الفخر الرازي ، تضرب لما لها من تأثير في القلوب ، أكثر من وصف الشيء في نفسه ((وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقاً للعقل وذلك في نهاية الإيضاح)) ٨٧.

وقد لخص العلامة الطباطبائي طبيعة الأمثال في القرآن الكريم بقوله : ((و ما كان من أمثال القرآن مادة التمثيل فيه تمام المثل، فإنه وضع على ما هو عليه، و ما كان منها مادة التمثيل فيه بعض القصة ،فإنه اقتصر على مادة التمثيل ،فوضعت موضع تمام القصة، لأن الغرض من التمثيل حاصل بذلك على ما فيه من تنشيط ذهن السامع بفقده أمرا ،ووجدانه أمرا آخر مقامه يفي بالغرض منه، فهو هو بوجه وليس به بوجه، فهذا من الإيجاز بالقلب على وجه لطيف يستعمله القرآن))٨٨.

ففي قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾٨٩ نجد أنّ الفخر الرازي يرى أن ضرب المثل بضعف أمر من الأمور ببيت العنكبوت ، ابلغ وأكثر تأثيرا ، من ذكره بدون الاستعانة بالمثل ، لان المثل وسيلة من وسائل تكثيف المعنى لذا أكثر الله من ضرب المثل في كتابه العزيز .٩٠

وإن لأمثلة القرآن الكريم ميزة وتفرد ، لا يحق لأحد المساس بها ، أو التعدي عليها محاولة للوصول لبلغتها ، لأنه سيؤول بالفشل الذريع ، فقد أنكر على الحريري في قوله في مقامته الخامسة عشرة ((فأدخلي بيتا أحرج من التابوت ، وأوهى من بيت العنكبوت

)) ، فقال الزركشي كان الجدير بالحريري أن لا يخطو مثل هذه الخطوة ، لأنه ما بعد تمثيل الله تمثيل . ٩١

وقد حلّل العلامة الطباطبائي هذه الآية، وبيّن معناها بقوله : ((أن اتخاذهم من دون الله أولياء ،وهم آلهتهم الذين يتولونهم ،ويركنون إليهم ،كاتخاذ العنكبوت بيتا هو أوهن البيوت، إذ ليس له من آثار البيت إلا اسمه لا يدفع حرا،و لا بردا ،ولا يكن شخصا ،ولا يقي من مكروه ،كذلك ليس لولاية أوليائهم إلا الاسم فقط لا ينفعون،و لا يضرون ،و لا يملكون موتا، ولاحياة ،ولا نشورا))٩٢.

وذكر أن مجيء المثل على صورته التي ذكرت في الآية ،بيانا لصفة البيت الذي أخذه العنكبوت ، ولم يبدل إلى (إن أوهن البيوت لبيتها) جريا على الظاهر ، لان الجملة بمنزلة المثل السائر، الذي لا يجوز تغيره عن الأصل ٩٣.

ملخص البحث

لقد سلّط البحث الضوء على الآليات التفسيرية للمفسرين ،لتبيّان أهم نقاط الالتقاء، والافتراق بينهما، فكلاهما اعتمد على الآليات نفسها ،إلا أنهما اختلفا في طريقة الطرح، والتناول لكل من تلكم الطرائق ، والمعيار الحاكم في ذلك يعود إلى نشأة ، وثقافة ، وعصر ، ومذهب كل منهم، فقد كان للربط العلمي الأثر الكبير ،والواضح على تحليلات المفسرين ، وظهر بصورة اكبر عند الفخر الرازي، فقد كان يميل أحيانا عندما يعرض الآراء في آية معينة إلى التحليل الذي ينكشف بالربط العلمي ، فيميل إليه كل الميل ،ويفضله على من خلا من الربط العلمي، وقد شكل المثل لدى المفسرين الجزء المكثف للدلالة ، وكان الفخر الرازي يرى أن توصيل المعنى عن طريق المثل أفضل من بيان المعنى بنفسه من دون المثل ، واعتمد المفسران مبدأ واحدا في قضية المحكم والمتشابه ، وهو ردّ المتشابه إلى المحكم لمعرفته، وقد عوّل المفسران على أسباب النزول كثيرا في تحليلاتهما ، لدرجة دفعت الفخر الرازي إلى اعتماد جميع ما قيل من أسباب نزول في آية واحدة.

Abstract

The research throws light on the explanative machineries for the two explainers, Al-FaKher Al-Razy and Scholar Al-Tabataba'i,to show the main similarity and difference points between them. Both had adopted

the same machineries, yet they have different methods of treatment according to their rise, education, periodand doctrine. The scientific connecting had the great effect on the two explainers analyses, it appeared clearly on Al-FaKher Al-Razy; sometimes, in terms of exhibiting the opinions upon certain verse, he tended to the analysis that is revealed by the scientific connecting so he preferred it. Proverb, or example, represented the intensive part of semantic, Al-FaKher Al-Razy believed that explaining the meaning by example is better than neglecting it. The two explainers adopted one principle in the unequivocal words and the equivocal words issue which is referring the equivocal to the unequivocal to define it. Both of the two explainers,in their analyses, had depended greatly on the revealing reasons thatAl-FaKher Al-Razy had adopted all the reasons that had been said upon one verse.

هوامش البحث

- ظ: مدخل في التفسير التحليلي المقارن : بحث منشور في مجلة كلية الفقه : العدد ١٤_ السنة ٧ ، ٢٠١١. ص ٧ ومابعدها .
- سورة هود : الآية ٦.
- التفسير الكبير :١٧/ ١٩٣.
- ظ: تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ٢٤٤/٥.
- الميزان : ١٢٩/١٠.
- ظ: تفسير البحر المحيط :٥/ ٢٠٥. ٦،وظ: تفسير أبي السعود: ١٣١/٣.
- ظ: مدخل في التفسير التحليلي المقارن : ١٤.
- ظ: التفسير الكبير : ١٠/ ٤١ وظ: الرازي مفسرا : ١٣٦.
- سورة الحمد : الآية ٧.
- ظ: التبيان : الطوسي:٤٤/١.وظ: الدر المنثور : ١/ ٩ و١٦/١.وظ: تفسير ابي السعود : ١٨/١.
- سورة المائدة : الآية ٦٠.
- ظ: التفسير الكبير: ٢٦٤/١ ، وظ: جوامع الجامع : الطبرسي:٥٩/١.
- الميزان :١٩ / ١٨٦.
- ظ: الميزان : ١١/٥-١٢.
- سورة يونس : الآية ٩.

- سورة الحديد : الآية ١٢.
- التفسير الكبير :٤٤/١٧، وظ: تفسير المحيط : ١٣١/٥. وقد ذكر الطوسي أن معنى الآية و ((اهدنا إلى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله (الحمد لله الذي هدانا لهذا).)) تفسير مجمع البيان : ٦٦/١.
- سورة الرعد : الآية ٢٧.
- الميزان : ١٠/ ١٤.وقد ذكر ابن الجوزي أن في الآية أربعة أقوال : (احدها : يهديهم إلى الجنة والثاني : يجعل لهم نورا يمشون به بإيمانهم ، والثالث : يزيدهم هدى بإيمانهم والرابع : يثيبهم بإيمانهم ، فأما الهداية فقد سبقت لهم)) زاد المسير :٩/٤.
- الميزان :١١/١.
- ظ: الرازي مفسرا: ١٤٤.
- سورة آل عمران : ٧٧.
- سورة البقرة :الآية ٤٠.
- سورة آل عمران : ٧٥.
- التفسير الكبير : ١١٥/٨.و ظ: التبيان : ٥٠٦/٢. و ظ: أسباب النزول : ٧٢. في حين عدد الزمخشري جملة من أسباب النزول ، ورشح الوجه الخاص بأهل الكتاب . ظ: الكشاف : ٤٣٩/١.
- التفسير الكبير :١١٥/٨. وينظر مثل ذلك ما جاء في قوله تعالى : ((زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا)) سورة البقرة : الآية ٢١٢. فقد ذكر الفخر الرازي وجوها عدة في أسباب نزولها وصرح انه لا مانع من نزولها في جميعهم . ظ: التفسير الكبير ٦/ ٥.وظ: الرازي مفسرا : ١٤٤.
- لقد نقل العلامة الطباطبائي الرواية من أمالي الشيخ الصدوق وكان مفادها : ((و في أمالي الشيخ، بإسناده عن عدي بن عدي عن أبيه قال: اختصم امرؤ القيس و رجل من حضرموت إلى رسول الله (ﷺ) في أرض فقال: أ لك بينة؟ قال: لا، قال: فيمينه، قال: إذن و الله يذهب بأرضي، قال: إن ذهب بأرضك بيمينه كان ممن لا ينظر الله إليه يوم القيامة و لا يزكيه و له عذاب أليم، قال: ففزع الرجل و ردها إليه.)) الميزان : ٢٦٤/٣.
- الميزان : ٣/ ٢٦٤.
- الميزان : ٢٦٥/٣.
- الميزان : ٣/ ٢٦٥.

- التفسير الكبير : ١٤٤/٧.
- ظ: الرازي مفسرا : ١٦٠.
- ظ: التفسير الكبير :٧/ ١٨٠.
- الميزان : ٦/١.
- سورة الكهف : الآية ٢٩.
- سورة التكوير : ٢٩.
- التفسير الكبير : ٧/ ١٨٢. وظ: بشيء من العموم ، الميزان : ٥/١ ومابعدها
- التفسير الكبير : ١٨٢/٧.
- التفسير الكبير :١٦٤/٢٠-١٦٥.
- ظ: أساس التقديس : الفخر الرازي :٢٠٢-٢٠٤. نقلا عن اللغة والتأويل : ١٦٦.
- سورة طه : الآية ٥.
- سورة الشورى: الآية ١١
- الميزان :٣/ ٢١.
- الميزان : ١/ ١١.
- ويقصد بهم المقلدة من أصحاب الحديث ، والمجسمة .
- الميزان : ٣/ ٢١-٢٢.
- الميزان : ١١/١.
- ظ: الميزان: ١١/ ٢٥.
- البرهان في علوم القرآن :٧٨/٢
- سورة المائدة : الآية ٦٤.
- التفسير الكبير :٤٦/١٢.
- ظ: مدخل في التفسير التحليلي المقارن (سورة البقرة بين الفخر الرازي والسيد السبزاوري أنموذجا): ١٧
- ظ: التبيان : ٥٧٦/٣.
- وذكر الطبرسي أن ذكر اليد في هذه الآية أفادت معنى الجود. ظ: تفسير مجمع البيان : ٣٧٨/٣. وظ: تفسير النسفي : ٩٨/٤.وظ: تفسير أبي السعود : ٥٨/٣. وأشار فخر الدين الطريحي أنها كناية عن الجود. ظ: تفسير غريب القرآن : ٣٤١

- الميزان : ٣١/٦.وذكر أبو حيان الأندلسي أنها استعارة عن جوده وإنعامه السابغ.ظ: تفسير البحر المحيط: ٥٣٤/٣.
- ظ: الميزان :٦/ ٣١.وقد أشار الزركشي إلى أن اليد هي كناية عن كرم الله سبحانه وتعالى . ظ: البرهان في علوم القرآن :٣٠٨/٢.
- القرآن وإعجازه العلمي : محمد إسماعيل إبراهيم : ٥٤.
- ظ: الرازي مفسرا : ٢٦٨.
- ظ: الرازي مفسرا: ٢٧٥.
- الميزان : ١١/١.
- ظ: المصدر نفسه :١١/١.
- سورة السجدة : الآية ٥٣.
- ظ: جامع البيان : ابن جرير الطبري : ٧/٢٥.
- وكان مفاد القول الثاني : ((أن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة وبآيات أنفسهم فتح مكة والقائلون بهذا القول رجّحوه على القول الأول لأجل أن قوله { سَنُرِيهِمْ } يليق بهذا الوجه ولا يليق بالأول إلا أنا أجبنا عنه بأن قوله { سَنُرِيهِمْ } لائق بالوجه الأول كما قررناه)) التفسير الكبير : ١٣/ ٤٠٦.
- سورة الذاريات : الآية ٢١.
- التفسير الكبير : ٧/ ١٤٠.وظ: تفسير الأمثل :٤٤٨/١٥.
- التفسير الكبير :١٤٠/٧.
- الميزان :١٥/ ٣٥٦.
- سورة النمل : الآية ٨٢.
- الميزان :٣٥٦/١٥.
- التفسير الكبير :٢/٧.
- ظ: التفسير الكبير : ٢/٧.
- التفسير الكبير:٨/ ٩٣.
- ظ: التفسير الكبير : ٨/ ٩٣.
- الميزان : ٧/ ١٥٨.
- ظ: الميزان : ٧/ ١٥٩.
- سورة المائدة : الآية ٢٧.

- التفسير الكبير : ٢٠٨/١١.
- ظ: التفسير الكبير : ١١/ ٢٠٨.
- ظ: الميزان : ٢٩٥/٢.
- ظ: تفسير البحر المحيط : ٤٧٥/٣.
- الميزان : ٥/ ٢٨٧.وظ: مجمع البيان : ٣٤١/٣.وظ: الأمثل :٦٧٧/٣.
- لسان العرب : مادة (مثل).
- القاموس المحيط :مادة (مثل).
- ظ: الأمثال في القرآن الكريم : ٤٩.
- المزهر : ٣٧٤/١.
- التفسير الكبير : ٨٠/٢.
- الميزان : ٣٧١/٢.
- سورة العنكبوت : الآية ٤١.
- التفسير الكبير: ٣٤٥/١.
- ظ: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٨٤
- الميزان : ١٦/ ١١٨.وظ: التبيان : ٢١١/٨.وظ: جامع البيان :١٨٧/٢٠
- ظ: الميزان : ١١٨/١٦ .